فلسفة الاستغراب (الاستشراق المضاد)

من دوغما الإِيديولوجيا إلى فضاء الإبستمولوجيا

هيثم محمد مصطفى *

تأريخ التقديم: 2022/9/24 تأريخ القبول: 2022/10/15

المستخلص:

تتبنى هذه الدراسة انطلاقًا من نظرية التعرف العلمي عن قرب، تحديد طبيعة علم الاستغراب(الاستشراق المضاد) بكونه ظــاهرة معرفية خالصة بعيدة عن الإرهاصات الايديولــوجية والعقــلــية النضالية ، تكمن هدفه توسيع آفاق المعرفة وتحديث أدوات فهم وتفسير الآخر سعى نحو الاستيعاب ولا يتأسس على بداهات تقوم على الحجب والاستقصاء ، كما يرفض الغطاء الذهني المسبق لترتيب الظواهر الثقافية في حكم الآخر عليها بسعي الاقتناص منها وتجريده عنها ، وإنما يبحث عن الصفاء المعرفي بكل أشكاله لا (الخصم الثقافي) الذي تسمه بعض الطروحات الذاهبة في هذا الميدان.

والأعمدة المعرفية التي تأطر مسار (الاستغراب) من وجهة نظر الدراسة كغاية ونتيجة تتحدد في ثلاثة خطوط رئيسة (خط المنهج _ خط العقلنة _خط الهدف) :

أَمَّا خط المنهج : فهو بوصفه معرفة نقدية (إبستيمية) ينبغي أن يحدد المنهج خيارًا علميًا لا يقبل تصور الطرف المقابل علميًا إِلَّا من خلاله، وهي ضرورة تقنية في دراسة الأَفكار والسعي للنتائج السليمة، وإِبراز طابع الدراسة بما يقترب من المسلمات العقلية التي يستسلم لها القارئ، وهو من جانب آخر يحمل الموضوعية في ثناياه؛ لأَنَّ التحديد المنهجي يعد من قيم الحداثة الموضوعية التي يشهدها الفكر الإنساني حاليًا، فالتغاضي عن هذا التمايز العلمي تُفقد الرؤية المدققة للأُمور ويبعدها عن حرفيتها .

* أُستاذ مساعد/قسم الفلسفة/كلية الآداب/جامعة الموصل.

أَمَّا خط العقلنة فهو التصوُّر الذهني للأمور وتقبلها ومن ثم كشفها ومعرفتها بعيدًا عن الإسقاطات أو الجموح الايديولوجي عند النظر للقضايا وترتيب ظواهرها لأَوَّل وهلة، كما لا تسعى الذات المعرفية بالإجهاز على الآخر والقطيعة معه، بل التوازن المعرفي المنطقي يكون حاكمًا في الغالب مراعيًا شروط الزمان والمكان .

أَمَّا خط الهدف : فينبغي أَن يتوازى هو الآخر مع المستويين السابقين، وفيه تكمن القراءة الغائية للطرف الآخر في وجهها الموضوعي بإحكام ، في إبراز الملامح المميزة به في قوة اختراقها الثقافي ، ومن ثم بناء إرهاصات أولية نحوه لإحداث تشققات معرفية سليمة صحيحة في بدائلها المنهجية وعلى مستويات مختلفة.

الكلمات المفتاحية: فلسفة الاستغراب، الاستشراق المضاد، علم الاستغراب، علم الاستشراق، إيديولوجيا الاستشراق.

المقدمة :

في مفهومي (إيديولوجيا_إبستمولوجيا) :

يروم كل بحث علمي تحديد أهدافه ومجاله وتحديد الأدوات والآلية المنهجية والصورية التي يعتمدها، فضلًا عن بيان مصطلحاته ومفاهيمه سعياً نحو بناء مسلمات ومبادئ خاصة للوصول إلى طبيعة بحثية معرفية سليمة .

يجمع النقاد والباحثون في مجال الدراسات الاجتماعية والانسانية بأنَّ قضية تحديد المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالعلوم الانسانية من أصعب القضايا المعرفية الموجودة، ويرجعون السبب في ذلك إلى أَنَّ عامل الكينونة الذاتية تسيطر على مواضيع هذه العلوم أكثر من العامل الموضوعي حيث يصبح الانسان هو الدارس والمدروس في آن واحد.

وقد يكون مفهوم الإِيديولوجيا أبرز مثال حاصل لهذا الاختلاف في التعريف وتحديد ماهيته، وعلى هذا فالقطع بتعريف جامع مانع لمصطلح الإِيديولوجيا يصبح أمراً بعيد المنال، بل يعد نوعاً من التعسف قياساً إلى التعريفات المختلفة التي جاء بها هذا المصطلح، وما تمثلها من مضامين ومقاصد تختلف في وظائفها وأبعادها .

هذا وسنحدد الإِيديولوجيا بهذا التعريف ، حيث نجد أن هناك صنفين من الإِيديولوجيا[1] :

المفهوم الخاص ، والمفهوم الشامل .

فالإِيديولوجيا بمعناها الخاص : هي منظومة الأفكار التي تتجلى في كتابات مؤلف ما ، تعكس رؤيته لنفسه وللآخرين ، بشكل يكون مدركاً أو غير مدرك .

أمَّا الإِيديولوجيا بمعناها العام : فهي منظومة الأفكار العامة السائدة في المجتمع ، تجاه الحقائق السياسية والاجتماعية والثقافية الأُخرى المختلفة .

وقد يحمل مفهوم الابستمولوجيا الإشكالية ذاتها، فهذا المصطلح ينقسم في الأصل إلى مفردتين : الأولى (إبستمي) وتعني في اللغة اليونانية القديمة (العلم) ، والثانية (لوغوس) وتعني في اللغة نفسها الحديث أو الخطاب وبذلك يغدو المعنى الحرفي لكلمة (ابستمولوجيا = الحديث عن العلم) . كما تعرف أَيضًا على أَنَّها: (فلسفة العلوم)، وفيما بعد أخذ العلماء أنفسهم الحديث عن علومهم فسمي هذا المنحى الثاني الجديد (ابستمولوجيا العلوم)[2]، واستمر هذا الخلاف النظري القائم بين دعاة كلا المنحيين؛ لأَنَّ إشكالية (فلسفة العلوم) تختلف عن إشكالية (ابستمولوجيا العلوم) ،لذلك يصعب إعطاء تعريف موحد ونهائي لمصطلح (الأبستمولوجيا) ، لكن ثمة أصول مشتركة يتفق حولها المختصون في صياغة الخطاب الابستمولوجي على أَنَّه يبحث :[3]

1_في الأسس النظرية للعلوم .

2_ في مبادئها .

3_في ظروف تبلورها وتطورها .

---

(1) ينظر : الحفني ، عبدالمنعم : المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة :13 6 ، ط3 ، مكتبة مدبولي_القاهرة ،2000م ، والمرزوقي ، أبو يعرب ، حنفي ، حسن : النظر والعمل والمأزق الحضاري العربي الإسلامي الراهن : ص328 ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق ، 2003م .

(1) ينظر : صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية : ج1/ ص33 ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982م .

(2) ينظر : النظر والعمل والمأزق الحضاري العربي الإسلامي الراهن : ص 322 .

4_في أساليب العلم المختلفة .

وانطلاقاً مما مضى كان السؤال الأبرز الذي طرحته الدراسة وعليه تدور مدارها ومحاورها، كيف نستطيع أن نميز بين المعرفة كحالة إبستيمية وبين الإِيديولوجيا داخل حقل الاستغراب ؟

وقد جاءت الإجابة بهذه المحاور الثلاثة والتي استطاعت الدراسة صياغتها على شكل مباحث مفصلة لتكون مفتاحاً لمأزق خروج (علم الاستغراب) من دائرة الضيق الايديولوجي إلى سعة الانفتاح الابستمولوجي، وهذه المباحث حددناها في ثلاثة :

ــ المبحث الأول : المنهج وآلية التوجه .

ــ المبحث الثاني : العقلنة وإنتاج المعرفة .

ــ المبحث الثالث : الهدف وإرادة الحقيقة .

وفيما يلي التفصيل في كل مبحث من هذه المباحث .

المبحث الأول

المنهج وآلية التوجه

يبين تاريخ الفكر من خلال استقراء ظواهر العلوم المختلفة أن المنهج أبرز من الموضوع وأن صواب الموضوع وصحته إنما يعود إلى صواب المنهج ودقته ، وأن خطأ الموضوع ومحتواه إنما يرجع إلى خطأ المنهج ، فالمنهج سابق على الموضوع ، فهو الذي يحدد الرؤية والمنظور ويضع الأصول والأسس والقواعد ، ويشخص الغاية والهدف ، ويكشف عن المجهول المخطط المستدعى إليه .

ولأننا نحن والغرب نشترك بمناهج المعرفة ، يفترض التوجه نحو امتلاك المنهج المعرفي المقارب المناسب، وبما أن الطبيعة المعرفية أصبحت شاملة ومتسعة يمكن أن أمتلكها أنا وتمتلكها أنت كما يمتلكها الآخر، فينبغي أن نتفق على صيغة ميتادلوجية يقترب منازعة المنهج بالمنهج نفسه ، دون الاتكاء على منهج آخر مغاير للحقل الاستغرابي المدروس ، بعبارة أخرى عدم الخلط بين المناهج المتعددة وإفرازها فكرياً وفنياً داخل حقل المعرفة ، فيقضي الفصل بين البنيوية والماركسية والمادية الجدلية والوضعية والتفكيكية وهكذا ، فلا يجوز المشتغل على اللغة وتحليلها ، ولا على نقد النصوص وتفكيكها أو التداولي الذي يتمسك بالواقع الفعلي الاستعمالي

للظاهرة المتداولة ، أن يلج منهجية ماركسية يعول على صراع الطبقات ، أو جدليا هيجلياً يتبنى الوسط والوسط والإيجاب في تحليله لمظاهر المعرفة ومنها فلسفة التاريخ(1).

فعلى سبيل المثال إذا ما أردنا أن نحدد جزئية من الاستغراب لابد أن نتوجه إلى الغاية المرادة مباشرة كأن يكون نصاً أو حقلاً معرفياً ما ، فنتابع شروط إنتاجه والخلفية التي تقع وراءه والمعرفة الموجودة داخله ، لنحتفظ بتلك الصفة والتصور الإيجابي عن تلك الظاهرة ، والانتقال من الرفض السلبي لها بجعلها موضوعا إبستمولوجياً فقط لا غير .

إن نظرة فاحصة ودقيقة لمعطيات الثقافة العربية بمظاهرها الفكرية والإبداعية المختلفة تكشف عن معضلة خطيرة في التعامل المنهجي مع الآخر في ضروب (التماثل) أو (التطابق) مع ثقافة الآخر التي فرضت حضورها المطلق في النسيج الثقافي العربي المباشر إلى حد أصبحت فيه تعالي الهيمنة المركزية الغربية بمحدداتها الثقافية بارزة للعلن ، مما حدا للسلوك المنهجي أن ينحو منحى الاستجابة السلبية ، فمن ثم لا تتبلور لمهمة الاستغراب شئ سوى حالة الضمور المعرفي تعجز عن التفاعل الإيجابي مع الثقافات الأخرى ، كذلك فإن الذات الثقافية تستحيل التطبع بطابعها الخاص الذي ينشغل بواقعه وموضوعاته ، وهي في الوقت نفسه لايستطيع الدخول مع الآخر في حوار فاعل مباشر ومساءلته منهجياً قبل الاستفادة منه معرفياً ما يجعله في مقام المكون المهيمَن وليس المكون الناشئ المنتج الحر بل حتى المضاد(2).

إن الحالة المنهجية للظاهرة الاستغرابية مشروطة بالاختلاف في التوجه والاتفاق في النمط، فالمطابقة في القالب المنهجي لا يشترط في النهاية التشابه في الهوية ، وإنما العملية استراتيجية بأصول آلية منطقية تترتب مع موضوعاتها في

(1) ينظر : مهيبل ، عمر : من النسق إلى الذات : ص94_ ص95 ، ط1 ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ،2007م.

(1) ينظر : إبراهيم ، عبد الله : المطابقة والاختلاف: ص 602_603ص ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2004م .

ضوء مرجعية ثابتة يصدر عنها المثقف الباحث ، وفي ظـل هـذا الموقـف العلمـي الرصين يكسر السبيل أَمام الاندماج التام في ثقافة الآخر ، وفي الوقـت ذاتـه يمنـع الصدام معه دون اعتبار لخصائصه الذاتية بالهيمنة ، ولا الشعور بالتقويض تجاه الأنا بوصفها وعياً غريباً غير قادرة على المنازعة وافتقادها إمكانية المدارسة بجعل الآخر موضوعاً كما الأنا في وقت من الأوقات(1) .

وفي المشروع المنهجي تكون الذهنية التحاملية غائبة والتخلص من الغطاء الذهني المهيمَن صورة من الإيراد طردية مع النزعة المنهجية لهيكلـة المعرفـة ذي الـذات الفلسفية المتأسسة على صدى التوجه الأصيل ، ثم إن الإبستمولوجيا المنهجية التـي نتوخاها هنا ليست إبستمولوجيا فلسفية بحتة أو منهجية تتوق نحو المطلـق ، إنمـا الإبستمولوجيا المفهومة في هذا السياق ظرفية مقننة ومحددة ضمن فضـاء زمـاني ومكاني معين ، إذ التجربة الميتودولوجية كذلك في حالة تغير ، فالحركة فيها دائمة ، ويجب أن يعكس المنهج العلمي هذه الحركة أبداً.

نحن إذًا سنكون أمام تحدٍ كبير تجاه علم الاستغراب ، تتمثل في الصيغة التي يجـب أن يتشكل ضمنها منهجنا ، بتعبير (الأنا) المقابلة للغرب ، ذلك الذي كـان ولا يـزال يريد انتزاع الـ (أنا) منا لنلج فيه ذوباناً واندغاماً ، ومظهر الـ(أنا) فـي صـناعة المنهج طبيعي للمناعة المعارضة في هذا السياق ضـرورةً فـي تأسـيس مشـروعنا الاستغرابي الخاص بنا ، ليس لأجل البقاء فحسب بل من أجـل السـيادة الحضـارية والمعرفية ، ومن هنا فإن الأرضية التي نرنو البناء عليها كل تطلعاتنـا العلميـة فـي سبيل صياغة هذا المنهج يقوم على خصوصية الرفض الإيديولوجي على امتداد أفقهـا النظري والعملي ، فإذا كان هذا عيباً وثغرةً ملحوظين في المنهج الغربي بل في عقلية المفكر الغربي لزمن من الأزمان ، وهي قائمـة علـى ثغـرة نفسـية لهـا ظلالهـا الإيديولوجية على بنية العقل ، فهذه الثغرة وذلك العيب لا يجب أن يسّوَق إلينا نهائياً ،

---

(2) ينظر : الكبسي ، محمد علي : قراءات في الفكر الفلسفي المعاصر : 100ص_101ص ، ط2 ، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 2007م . و مصطفى ، نادية محمود ، أبو زيد ، علا : خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات : ص62 ، ط2 ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2007م .

ولو كان المصدر النابع هو الغرب القاهر الغالب علينا تقنياً ومدنياً[1] . ولأجل استكمال السبك المنهجي يجب أن يكون عاملا القدرة والمرونة الذاتيين فاعلين بغيـة تحويلـه إلى أداة مفصولة كلياً عن ملازمتها الإيديولوجية وترسباتها لينتسب إلى نسق المعرفة الموضوعي المتوج بها كل ظاهرة إبستمولوجية جديدة في تسلسلها التقنـي الرصـين ونظرتها العميقة الجادة تعبيراً عن سياقها النقدي ونظامها العلمي المتكامل .

ولا يفهم مما مضى أن سمة الرفض المطلق للآخر في كل شيء هو ممـا يتبنـاه الموقف المنهجي ، فإن كان صحيحاً من ناحية المبدأ ، لكنه خاطئ من ناحية الواقع ، فما يتطلبه الصياغة المنهجية هو نقل الموضوع من مستوى الانفعال إلـى مسـتوى الفعل ليتأسس الوعي العلمي ويتبلور نحو مركزة الذات وموضـعة الآخـر، مقاربـة للحقيقة المتجلية بإضفاء طابع المدارسة فالتأثير على طابع الدور والتقليد لكسب نوع من الأسبقية المتبادلة بما هي ادوار تاريخية معلنة كانت أم مضمرة، والحالة المنهجية المفترضة تقتضي كما أعلنا مسبقاً إفراغ الواقع من كل وعي محتمل سلفاً وإملاء الـ (أنا) على ضوء خصوصيات العصر وتوجهاتها الجديدة، على أَنَّه مِمَّا ينبغـي التنبيـه إليه في هذا التحديد أن القراءة المنهجية بدافع الشعور بالـذات لا يعـد منهجـاً فـي المعرفة وإنما نوع من صراع الذات مع أخرى لفك عقدة النقص، وللأَسف فـإنَّ قـيم المفارقة المنهجية هو ما وقع فيه خطاب حسن حنفي في بعض مضامينه، فهـو مـن جهة يستخدم آليات وأدوات تنتمي للثقافة الغربية الحديثة وفي الوقت نفسه ظل خطابه تقليديًا غير حديث، ومن جهة ثانية نجد معاداته لثقافة الغرب الغازية وهو الذي وقـع ضحيتها عندما اسـتخدم أدوات ومفـاهيم ثقافيـة غربيـة مثـل " مكـب الـنقص" و"الموضوعية " و"مبدأ الهوية " وغيرها[2]، يقول حنفي : " يهدف علم الاسـتغراب إذًا إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر . . . والقضاء على مركب العظمة

---

(1) ينظر : هاني ، إدريس : العرب والغرب ، أية علاقة . . أية رهان : ص20 ، ط1 ، دار الاتحاد ، بيروت ، 1988م .

(2) ينظر : عبود ، مقداد نديم : بين القطيعة والخلق ، الحقيقة في الخطاب العربي المعاصر : ص109 ، ط1 ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1999م .

لدى الآخر الغربي بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس ، والقضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس ، مهمته القضاء على الإحساس بالنقص أمام الغرب لغةً وثقافةً وعلماً " [1] ، ومن ضمن هذه المفارقات المنهجية وفقدان الاستيعاب الكافي للأطر المعرفية مع التأكيد على الناحية الإبستمولوجية ونبذ الإيديولوجية ما وقع فيه خطاب الدكتور محمد أركون كمفكر ألمعي بارز في صياغة المنهج حول قراءة النص ولا سيَّما النص التراثي ، والتساؤل بشأنه يبقى مطروحاً دائماً ماذا قدم الفكر " الأركوني " في هذا المجال ؟ وكلمحة بيانية سريعة للقراءة الأركونية نجد أن خريطة التفكير عنده وقف في مدلولها الفائض المتسع ، فلم تكن المناهج العربية مغنيةً بما تعزز مكانة هذه النظرة وتلك القراءة ، بل إنها تجمع في آن واحد آفاقاً منهجية متعددة حيث تحتضن بنيوية شتراوس وظواهرية هوسرل وغيابية هيدغر وأركيولوجيا فوكو وتفكيكية دريدا وتأثيرات دولوز وألتوسير وكلاستر وغيرهم[2] . قد لا يعد هذا التعدد عيبا بل ثراءً معرفياً يحسب له ، لكن عندما تتحول النتيجة إلى تيه بعيد عن القراءة الموضوعية والغياب المتواصل للمعنى ستوصله حتما إلى اللامنهج وإلى اللامتوقع وإلى اللانظر ، وبالأخص عندما يحيلنا من جهة أطره الفلسفية إلى القطيعة التامة مع الماضي (الأنا) على حساب الآخر ، وعندما يصل بالفكر بما لا يطابق الواقع أو حين لا يقوى حد احتمال المقاربة بينهما.

يبقى إذًا جدل الظاهرة الاستغرابية بوصفها فلسفة تسبر أغوار الوعي المنهجي لفك لغز غموض (الأنا) المعرفية ، وحنفي يذهب إلى أنه _ الاستغراب _ يمكّن فك العقدة التاريخية بين الأنا والآخر ، وقلب الموازين وتبادل الأدوار ، فإذا كان الغرب قد سيطر على الشرق ، وركب له صورة تمثل تصوراته ، دون اعتبار لخصائصه الذاتية فلابد إذًا من الانطلاق صوب هدف محدد ، وهو القضاء على مركزية الغرب ، وتقوية ثنائية

(3) حنفي ، حسن : مقدمة في علم الاستغراب : ص 24 ، ط2 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2000م .

(1) العرب والغرب أية علاقة أية رهان : 67 ، ومن النسق إلى الذات : 99 .

المركز والأطراف، وإعادة التوازن للذات[1]، وهذا المعنى خطوة صريحة لتدشين أرضية صالحة للاختلاف توجب بطبيعة الحال النظر بعمق ووعي نقدي إبستيمي ملتزم في كل طبقات الثقافة التي عليها مهمة الاستغراب؛ لأَنَّ التطابق الكلي مع مطالب الذات يجعل من الاستغراب ظاهرة نفسية أكثر منها معرفية، كما أَنَّ هذه الحالة يولد نوعًا من العماء الخطير الذي لا يقل عن الانقطاع التام عنها ووضع مسافة إجرائية بين الذات وتصوراتها هذا من جهة ، وبينها وبين تصورات الآخر من جهة ثانية[2] .

وأخيراً وضمن الملاحظات المنهجية حول علم الاستغراب ، تتركز مهمتها حول أولوية العمل (oActni) أو الفعل (Act) على النظر؛ لأَنَّ المنهج ليس بحثاً في المعقول أو المنظور، وليس العود بالأشياء إلى ذاتها وإنما التأصيل المنهجي يبقى ضرورة ناجزة تؤكد على الفعل بما هو موجود في الواقع وبما هو آلية محددة لغاية النظر[3]، والمنهج لا يقوى على تحديد ذاته إلا بعقل عملي وفعل إرادي سعيًا إلى تحديد ثوابت موضوع النظر، وهذه الثوابت نحددها لنقول ختاماً بأن الآليات المتوجهة للغرب وفق منهج الاستغراب يجب أن تتم على أسس معينة بحيث نفيد من معطيات الحضارة الغربية المعاصرة فيما لا يتعارض مع أسس حضارتنا وقناعاتنا الراسخة ، وهذا التوجه في المدارسة تتنوع لتشمل العقيدة والتشريع والتاريخ والاقتصاد والجغرافية والسياسة والثقافة بعمومه.

المبحث الثاني

العقلنة وإنتاج المعرفة

يعتري دراسة الاستغراب في إطارها الإبستيمي نوعا من التعاطي الدقيق في النظرة التقويمية للمعرفة ، وتمثل الإِيديولوجيا إشكالية مستأصلة لفحوى الموقف النقدي يحول دون المعرفة الصحيحة وإخفاء الوعي، إن استبعاد الإِيديولوجيا في

---

(2) ينظر : مقدمة في علم الاستغراب : 24 .

(3) ينظر : تيزيني ، طيب : من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي ، بحث في القراءة الجابرية للفكر العربي وفي آفاقها التاريخية : 35 ، ط1 ، دار المجد للطباعة والنشر ، دمشق ، 1996م .

(4) ينظر : النظر والعمل والمأزق الحضاري العربي الإسلامي الراهن : 160 .

الحالة الاستغرابية قد يعد أمرا غير ممكن، فإنَّ أغلب الآراء تتفق في النواة الجامعة بين المعرفة والإيديولوجية ، لكن الإطار الإبستيمي يحرص على عدم الاتفاق بينهما ، فمسار الإيديولوجيا ينطوي على رسم التوجهات المطلقة؛ لأَنَّ طابعها تعددي ومتسع مما ينعكس على ملامح استقرارها ووحدتها، بينما المعرفة يكتفي بوصف ما هو جزئي فيبقى عملها محايداً للواقع وفي النهاية تستخدم خطوات محددة لبلوغ النتائج ، وهذه الصفة الأخيرة هي ما تحرص فكرة الاستغراب التلاقح معها كي تقترب من الموضوعية وتخرج عن الذاتية الخالصة(1) .

لذا فالنظر إلى علم الاستغراب ودوره لا يكتفي بمنطلقه التأكيدي في القيمة الوجودية لأفكاره ومدياته الموجهة بشأن صدقيته وفعاليته وهذه تمثل أساس الانسجام مع مبادئه والالتزام بها ، وبالتقارب مع هذا التفسير وهذه النظرة نحرص على الطابع الأدائي لهذا العلم بما تكون مفيدة ومنتجة في حد ذاتها مستندةً إلى حكم تقويمي معين ليس من (الأنا) حصراً بل من الواقع المعرفي المراد بلوغه بالحاجة إليه ، فالذي يميل إلى تصور حكم الاستغراب حكما للقيمة لا للواقع ينتهي إلى تحيز مهمة هذا العلم وتمركزها على ذاتها ، وممارستها انتقائية إظهار المزايا وإخفاء العيوب ، ويتراوح تعليل الطابع الانتقائي لهذا العلم بين ربطه بحالة التمحور الذاتي كما ذكرنا مما يجعل تلك الحالة ترجمة للدواعي النزعة النرجسية الصوابية ودحض الآخر ، وبين النزعة الإيجابية لاستمداد المعرفة حجيتها بعيدةً عن الإيديولوجيا .

وبالمناسبة فإنَّ هذه المفارقة الإيديولوجية نجدها متجليةً على مستوى نظام المعرفة الإبستيمي لخطاب الدكتور حنفي فهو من جهة يؤكد على ضرورة اتخاذ موقف نقدي من الغرب وليس الدفاع عنه أو الهجوم ، وذلك على ضد من مواقف فكرنا المعاصر إزاءه التي تراوحت بين الدفاع والهجوم والانتقاء ، ومن ناحية ثانية يرفض المثاقفة والمواصلة بذريعة إلغائها خصوصيات الشعوب وتجاربها المستقلة ، وهو إذ يفعل ذلك يكون متمركزاً على الذات بصورة نرجسية مفرطة إلى حد نجده

(1) ينظر : خليل ، بكري : الإيديولوجيا والمعرفة : 208 ، ط1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 2002م .

يقول " يمكنني أخذ كل فلاسفة الغرب وأضمهم في طابور عرض وأكون أنـا قائـدهم أوجههم وأحركهم ، وأستعرضهم في حركات وتشكيلات وتحيات كيفما أشاء ، وطبقـاً لاستراتيجيتي وخططي وأهدافي "[1] . فصفة الانغلاق والتميـز وادعـاء الصـوابية يحسب على الإِيديولوجيا؛ لأَنَّ سمة الاستغراب أنها تثور جملة قضايا منتجة تتجـاوز الواقع وتتعالى على ما هو عاجل إلى ما هو آجل ويؤول إلى المسار الملبي للمصـلحة المعرفية العامة .

ومفهوم الإِيديولوجيا بحكم تقويمه أنه ينحصر في مستويين[2] :

الأول : وصفي وهو ذلك الذي تظن فيه الإِيديولوجيا أنها حقيقة مطابقة للواقع .

الثاني : وهو الذي يتضمن الحكم بأنها لا تعكس الواقع تماماً بصورة صريحة .

إِلَّا أَنَّ وعي الاستغراب يصطف مع الاتجاه الموضوعي الملتصق بالمفهوم الحيادي في ميدان المعرفة، ومن هنا فإِنَّ علوم الفكر والثقافة لا ينبغي أن يكون هدفنا منهـا_ ونحن نسعى في صياغة تأسيسية لهذا العلم الجديد_ تكـوين انسـاق مـن المفـاهيم المغلقة التي يجري في ضوئها إهمال الواقع أو في أحسن الأحوال وضعه ومـن ثـم تصنيفه على معايير وثوابت قيمية خاصة، نعم قد تكون هذه الخصوصية ملحظ انتماء أو مأثرة نلتزم بها دينياً وقدسيًا، لكن بالمقابل لا إنكار في إمكانية منـع ذلـك علـى أساس الخيار العقلي بما يقودنا إلى تصورية مطلقة قد تحال إلى الرفض أو التجاهل ، ومن الخطورة بمكان أن نجعل من علم الاستغراب آلة متحيزة إيديولوجياً؛ لأَنَّنا بهـذه الحالة نعطي الصورة عن الآخر قبل الفحص والتثبـت وتقـديم التعليـل الكـافي؛ لأَنَّ الإِيديولوجيا التي نستخدمها بهذه الصورة سوف ينقصها اليقين وتكون لها طابع ذاتي عرضي وتفتقد للنظرة الشاملة كما أنها تغيب عن طرح الأسئلة النقدية عـن شـروط المعرفة الموضوعية ، بل ربما تميل للأحكام المسبقة وللتحيـز والمصـدر الـرئيس لأغلاطنا كما يرى (ديكارت) هو الحكم المسبق للأشياء ، فهو يطالب بتعليـق الحكـم والامتناع عنه في حالة تعذر تكوين الفكرة الواضـحة عـن الموضـوع فـي الـذهن

---

(1) مقدمة في علم الاستغراب : 447 ، وينظر القطيعة والخلق : 111 .

(2) الإيديولوجيا والمعرفة :210 .

بالصورة أو بالشكل الذي لا يعود معه أي مجال للشك[1] . فنقص البعد الإبستيمي عن أفكارنا دليل نقصٍ في ملَكة حكمنا على الأشياء والظواهر ، وتأتي المعرفة في مقدمة تلك الظواهر ، نعم قد تكون هناك تحيزات عاطفية تتسم باللاعلمية أحياناً تنطلق من الإِيديولوجيا وتكون خاصةً لا سبيل إلى تعليلها في طبائعنا كبشر في مجالات الحياة المختلفة ومناشطها المتنوعة ، لكن يبقى المحك البرهاني الذي يستلزم منع تلك الأحكام وتلك الأخطاء أن نمتلك قدراً من التغلب على معضلات التحيز الفكري بحسبانه آفةً ذهنية تصل حد التضليل العلمي لا يتسنى درؤه إلَّا بالرجوع إلى الوقائع الصريحة الصحيحة ، فالحكم الإيديولوجي له خواصه التي تجعله نسيجاً من الرؤى التقريرية المباشرة يهتف بالكشف عن البنيات التي غالباً ما تكون متعارضة مع الحكم الإبستيمي المعرفي ، فالمسافة بينهما واضحة ومنظورة ، والإيديولوجي يتعامل مع وعي الضرورة فهو عامل حتمي ومسيطر فيه[2] ، بمعنى أن التوقع والتخمين للآخر تصبح حالة لا شعورية أحياناً وهذا ما ينعكس حتما على نتيجة الاستغراب بالعقل الملتزم الذي يتعامل بها وتوظيف مسارها باتجاه أهداف شاملة للمجتمع وتنظيمه معرفيًا.

والعقلنة تعد من قيم الحداثة الموضوعية وهي ممارسة نحو التكامل في الكل الاجتماعي والنهج العلمي الممتزج به على امتداد مسارهما ، فالانحراف عن الظاهرة العقلانية يسفر عنه الحكم المتعجل والمسبق والإفراط في التعميم بل والتزمت في الرأي في كثير من الأحيان ، وينجم عنه كذلك الانحراف عن العدالة وانعدام التمييز، فالتعامل بهذا المعيار تجاه الآخر يعبر عن خصائص المكون المعرفي للذات، وهو نفسه سيكون مكونا انفعالياً خارجاً عن نطاق العلمية ، ومن ثم يكون المنتج المعرفي عفويًا؛ لأنَّه متمركز على محدودية الأنا لا سعة الأفق الموجود لدى الآخر.

---

(3) ينظر : متى ، كريم : الفلسفة الحديثة ، عرض نقدي :45 ، منشورات جامعة بنغازي ، كلية الآداب ، 1974م.

(1) ينظر : العروي ، عبدالله : مفهوم الإيديولوجيا : 112 ، ط7 ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، 2003م .

ولا شك أَنَّ التأكيد على هذا الجانب من لجوء وظيفة الاستغراب إلى المقاصد الفعلية يوصلنا إلى الناحية المنطقية بأنَّ كل دراسةٍ لا بد وأن تقود إلى عمل وإلى نتيجة وإلى تأثير ، وفي السياق نفسه يبرز موضوع دور التمويه رديفاً للأثر الإبستمولوجي وكونه قناعاً يخفي الواقع ، وهذا ما يعرف عادةً بـ " الأَوهام الإيديولوجية التي تقوم بوظيفة تغطية الوقائع بهدف جعلها مقبولة، فالإِيديولوجيا في شكلها تعكس صورة مثالية من غير ما عليه الواقع "[1]، وإِنَّما نحن نبغي من فكرة الاستغراب أن تعكس قناعةً لمصيرنا الحضاري والفكري لا الصورة الضيقة التي تتقمصها إيديولوجيتنا الراهنة ، وطبيعي ونحن في صدد بناء معرفة متوازنة ومنظومة من القواعد ترتسم فيها معالم السلوك والمقاييس الإجرائية للمجتمع ، ندرك أن الإِيديولوجيا لا تعطي معايير حكم خاصة لطريقة اختيارنا العلمي ضمن الظاهرة الاستغرابية من بين بدائل عديدة ، وإنما ستعطي معنى التبرير الذاتي لهذا الحكم ولكيفية الاختيار هذه ، وتشكل أداة ضبط وقسر على المشروع بأجمعه وبجوانبه الفنية وبموجهاته التحليلية الكافة وإن ادعت القدرة التكييفية والتوجيهية لذلك؛ لأَنَّ الفكر الإيديولوجي فكر مزدوج في النهاية فمن شأنها أن تزين ما هو قائم أو تزيحه بفعل الاعتقاد أو المصلحة أو الأهواء.

ويستفاد مما تقدم أن دليل العقلنة أو العقلانية في علاقتها بفكرة الاستغراب كعلم ليس سبيلها تحديد المصلحة في إطارها الذاتي كما يتبناها الفكر الإيديولوجي بل الإرادة المعرفية في جانبها الموضوعي هي ما تمثل صرح الهدف الذي ينشده المحتوى البنيوي لهذا المشروع وأعني علم الاستغراب .

وهناك ثلاث مناحٍ رئيسة يحدد الموقف الفكري للإيديولوجيا تجاه الاستغراب كظاهرة إبستيمية[2] :

(2) الإيديولوجيا والمعرفة :185 .

(1) ينظر : المصدر السابق : 227 .

1_ المنحى المثالي : وهو الذي تعد فيه المعرفة عالماً مستقلاً ينبغي فهمها كلياً ومطلقاً ، ولا شك أن النظرة العميقة لهذا المنحى يتبين حجم المثالية البعيدة عن واقعها وموضوعها الموجه بها نحو الآخر ، فيظل معتنقوها بعيدين عن إحياء أي نهضة فكرية مرجوة في المستقبل قريبةً أو بعيدة .

2_ المنحى الاختزالي : وفيه تكون المعرفة منطلقة ومصاحبة وفق ظروفها ،وتكون البنى المتحركة فيه عقلانية أكثر وذو تحقق استنباطي بعيد وعميق . ونجد أن (الأنا) المنطلقة لـ (الآخر) بهذا المنحى تكون ضرورية أكثر وموصلة للنتيجة في مسارها الأركولوجي السليم .

3_ المنحى التحليلي التوفيقي : ويعمل على الجمع بين المنحيين السابقين ، ويقف موقفاً وسطاً ويظهر بصورةٍ تجاذبيةٍ بين هذا الطرف وذاك ، وهو بهذا المعيار يلتزم منظوراً بديلاً عن المنحى الأول تارةً وعن الثاني تارةً أخرى .

وفي ختام هذا المبحث نود الإشارة إلى قضية مهمة وهو أن الاستغراب لا يتناسب مع تشنجية وانغلاقية الخطاب العلمي العربي المعاصر الذي جعل من الذات العربية وفكرها حقلاً ساكناً ومقياساً وحيداً صالحاً يقيس عقلية الآخر وعلميته ومنجزاته ، وهذا التمركز على الذات تجاه الآخر كمحور للعالم ومرجعية نهائية يهدف إلى أمرين كما يري بعض الباحثين[1] :

أولهما : ممارسة نوع من الإعلاء الذاتي لإخفاء وضعنا الهش وصورته القائمة في الحضيض ،وثانيهما : الظهور بمظهر وهم التكافؤ مع الآخر أو تخيل التفوق عليه في بعض الأحيان .

وانطلاقًا من هذا الفضاء المتشكل المتصلب لابد من المرونة بكثير وتمييع هذا الفضاء على قدرٍ أكبر من التعاطي مع هذا الواقع المتغير كل لحظة بالموافقة معه حيناً والمفارقة حيناً آخر، فعملية الاستغراب ظاهرة متشكلة وأحداثها وحقائقها متبدلة غير ثابتة ، والمطلوب هو بناء صياغة التوجه السليم نحو الآخر ، بالتعامل مع فضاءٍ مختلف للتحرر من الوهم لتشكيل الحقيقة ، الحقيقة الموصلة لإنتاج المعرفة ورؤيتها

(2) ينظر : بين القطيعة والخلق : 173 ، وخطابات عربية وغربية في حوار الحضارات : 69 .

على الأرض ملموسةً غير مخفية أو على جناح الكلام المنظور ، فالمعرفة في النهاية هو من تعاطاها ومارسها لا من تملكها فقط .

المبحث الثالث

الهدف وإرادة الحقيقة

يروم كل علم وكل دراسة موضوعية تحديد أهدافها وحصر غاياتها من خلال البنية الأساسية التي تنطلق منها مع الأخذ بالظواهر التحليلية والتفسيرية التي تمكن ربط الوسيلة بغاياتها والكل بأجزائها ، ومهمة الاستغراب يجب أن تحكمها في نظرنا أطر خاصة متسقة موجهة يتناسق مع منهجيات البحث العلمي المنظمة تبتعد عن الذوق والمزاج والمشاعر الخاصة ، لأننا في صدد صياغة وتقنين حضارة وثقافة لأمةٍ بأكملها، ومن ثُمَّ يجب أَن تكون تصوراتها واضحة غير مرمزة ومبرراتها مسلمة لا يمكن الاستغناء عنها في الحالة الحضارية الحرجة .

لقد حدد الدكتور حسن حنفي في مشروعه الفكري جملة أهداف رئيسة هي نواة علم الاستغراب ومصدر انطلاقه ، من هذه الأهداف التي يسردها حيث يقول : "مهمة علم الاستغراب هو القضاء على المركزي الأُوربيَّة . . . مهمة هذا العلم الجديد رد ثقافة الغرب إلى حدوده الطبيعية بعد أن انتشر خارج حدوده . . . مهمته القضاء على أسطورة الثقافة العالمية التي يتوحد بها الغرب ويجعلها مرادفة لثقافته ، وهي الثقافة التي على كل شعب أن يتبناها حتى ينتقل من التقليد إلى الحداثة . . . مهمة علم الاستغراب هي القضاء على ثنائية المركز والأطراف على مستوى الثقافة والحضارة . . . مهمة علم الاستغراب هو إعادة التوازن للثقافة الإنسانية بدل هذه الكفة الراجحة للوعي الأوربي والكفة المرجوحة للوعي اللاأوربي "[1] ، هذه الأهداف وغيرها هي جملة منطلقات تأسيسية لهذا العلم الجديد كما وصفه، ومن الواضح من خلال هذه الأهداف فإن هذا المشروع يضع نفسه داخل إشكالية مزدوجة كما يرى بعضهم، فهو يبحث عن الصفاء الذاتي ولكن ذلك لا يتم إلا بدمار الآخر ، فالذات كما يذهب إليه هذا الرأي لا تتكون إِلَّا بالإجهاز على الآخر ، الأمر الذي قاده إلى القطيعة مع الآخر،

(1) مقدمة في علم الاستغراب : 28 _ 30 .

فالحضارة الغربية متشكلة بهيئة طردية تنمو وتبدع بالانطلاق من المركز والابتعـــاد، في حين أن الحضارة الإسلاميَّة مركزية تنمو وتبدع بالنسيج حـــول المركـــز ، وهـــو تصور ذهني يسعى إليه حنفي لترتيب الظواهر الثقافية لتوافق الأهـــداف التـــي يريـــد الوصول إليها ، لا تراعي في الغالب شروط الزمان المكان لكل من الثقافة المنتجة في الحضارتين المختلفتين(1) .

قد يكون هذا الموقف متحاملاً ومتشنجاً نوعاً ما ، فالتحامـــل ســـمة نســـجية بـــين الباحثين والمفكرين عموماً ، إلَّا أَنَّ البحث في التوازن بين الثقافة العربية والغربية لا يعاب عليه حنفي وجعله هدفاً لمشروعه ولا يسم موقفه بالافتقار إلى الحس التـــاريخي ، ولا لافتقاده زاوية التباين بين الغرب والشرق، بل إِن موفقه يصـــدر عـــن إِمكانيـــة السعي نحو الآخر بالنظر إلى معطيات الثقافة المعاصرة بمصادرها المتعددة مع شـــيء من الاعتصام بالذات وهو أمر فيه خلاصية مرجعية بالشيء الكثير، على أن الانكفـــاء على النفس وهو ما ينبغي التأكيد عليه هنا بوضوح لا يفضي العزلة عن الآخـــر مـــع رفضه التطابق معه ، وإنما الظاهرة العلمية كلما كانت استقلالية في تصوراتها كانـــت ثمة عمق وروية ووعي إبستيمي يمتلكها فضلاً عن مبدأ فرض الحضور الذي يتأسس عليه بنيتها بصورة شبه مطلقة .

لكن لكل ما ذكر يبدو لحنفي الحق في هذا التشدد بالذات نتيجة ضياع الأنا فـــي الآخر شكلاً وموضوعًا على نحوٍ يفقده القدرة على الاستقلالية ، ليبقـــى الآخـــر هـــو المهيمن حتى ونحن نقرأه وندرسه ونحلله ، لنكون بذلك إتباعيين أكثر منا إبـــداعيين ويضيع مسار هدفه يقول في ذلك :

" ثم ظهر في جيلنا استغراب مقلوب، بدلاً من أن يرى المفكر والباحث صورة الآخـــر في ذهنه، رأى صورته في ذهن الآخر، بدل أن يرى الآخر في مرآة الأنا ، رأى الأنـــا

(2) ينظر : المطابقة والاختلاف : 604 .

في مرآة الآخر، ولما كان الآخر متعدد المرايا ظهر الأنا متعدد الأوجه "[1] ، ثم يذكر عيوب هذا الاستغراب الذي وصفه بـ (المقلوب) وهي [2] :-

1_ اختيار جزئي من التراث الغربي ، تراث الآخر . . . , وابتسار الحضارة الأوربية وردها إلى أحد أجزائها ، مع ضياع جدل الكل والأجزاء .

2_ نزع هذه الأجزاء _ التراث الغربي _ خارج بيئتها .

3_ ابتسار الكل تراث الأنا ، ورده إلى جزء متشابه في تراث الآخر .

4_ تكريس مركب النقص عند الأنا مقابل مركب العظمة عند الآخر .

فالإفادة من الغرب يجب أن تتوجه نحو المعطيات الإيجابية ، ولا يقف موقف الناقل منه والشارح له ، بل إن عقل الأنا يجب أن يتغلغل نحو حقائق التفصيلات الدقيقة عن الآخر ، ولا يفهم من هذا أن يسخر إمكانية علم الاستغراب لتشويه صورة الغرب في نظر العالم ، على نحو يثبت للأَنا قدرته على استيعاب الآخر واختراقه واحتوائه بغية إشهاره ، فمنطق التوجه العلمي يسقط من استراتيجيته مظهرية العداء وتلتزم المرونة الإبستمولوجية كقاعدة فكرية نحو صناعة المعرفة الحقة تحت إرادة شرعية لا يناقضها الوقائع والعقول .

وفي تسيير الأهداف نحو الحقيقة يجب أن يكون المدار في ذلك نحو الصدق والموضوعية لا أن تكون دوغمائية قائمة على أحادية النتيجة والحكم ومن ثم تكون قطعية لا تقبل الثنائية والتمييز ، فما نستحسنه يمكن تطبيقه في واقعنا ، وإن كان زائفا ، وبالمقابل فإن ما نناهضه نرفض إنزاله لواقعنا ، وإن كان صالحًا، استناداً إلى نقدنا لكل شيء اسمه (تمركز غربي) . ولأننا ننطلق من طروحات ذاتية في أغلب الأحيان وإيديولوجية ذات بنية وثوقية قطعية فإن الوعي الإبستيمي يبقى ذو كينونة خاصة يتعامل مع الحقيقة على أنها شيء مطلق قائم على الثبات يرفض الصيرورة ويؤمن بالكينونة ، والحال أن الظاهرة المعرفية أبعادها متشعبة متلونة تبرأ من التوحد يتوجه مناطها دوماً نحو مصارعة اليقين الساكن .

---

(1) مقدمة في علم الاستغراب : 55 _ 56 .

(2) المصدر نفسه : 56.

على أن الكلمة الفصل لمحور هذا المبحث يظل السؤال قائماً هل من تخطيطٍ فعال في هذه القضية يتوسل به لبلوغ ثمرة النجاح ؟ هل هناك برامج ولجان تهتم بوضع الخطط ومؤسسات أكاديمية وعلمية متخصصة لهذا الغرض توفي حق الدراسة لهذا العلم يصل به إلى مستوى رفيع من الاستطاعة والتمكن ؟

من خلال تفحص وكشف البداهة المعرفية للآليات المخصصة لهذا العلم نجد أن فضاءه لا زال تحت سقف شرعنة التنظير وينشد متصدعاً نحو التطبيق، بل لا يزال ساكناً في لحظة ابتداء البناء يتشدق بغطائه الإيديولوجي الآفل فلا يتاح له التحرر مما يفضي إلى تغيير العلاقة بالوجود وبـ (الآخر)، وبالحقيقة والعالم[1].

إن أخذ الموقع والدور الأَبرز على مسرح الحياة يجسده الفكر فالعمل، وكل انطلاقة لا تأبه المزاوجة لهذين المعيارين ستكون هدفها التأبيد والتفويت، وسيكون لزاماً عليها ارتداء القناعين معًا، ليؤسس نحو التجاوز طارحًا نافلة التنظير معايشًا الواقع بفعاليته وموضوعيته وأنماط خصوصياته المنتجة، وسيظل الهدف المعلن من الاستغراب اجتياح عالم المعرفة والتقانة ونظم الحياة المختلفة من خلال شرعنة الدور المركزي للذات ولو في صورتها المتعادلة مع الآخر ، وواقعية التعاطي معه والترافق في تصدير أحدث حصائل العلم والأنظمة المعلوماتية ومبادئ النظم القانونية الإنسانية ، واعتماد أسس التفكير العقلاني الحديث في عملية الإنتاج بما تتمتع به سمات الحداثة اليوم في العالم الغربي في بسط سيطرتها ونفوذها الشمولية على العالم والإنسان والتاريخ، وتسييرهم وفق تصنيفاتها وبرامجها وأهدافها ينخرطون في إرادتها وصقلهم وتوجيههم نحو غاية معينة، وهي لاشك إرادة الإنسان الغربي والنزعة الغربية بما هو عقل مطلق وذات مطلقة .

الخاتمة

1_ كان السؤال الأبرز الذي رشحته الدراسة ، كيف نستطيع أن نميز بين المعرفة والإيديولوجيا داخل حقل الاستغراب ؟ والإجابة عن هذا التساؤل يكون التقيد بوسيلتين:

(1) ينظر : قراءات في الفكر الفلسفي المعاصر : 159 .

الأولى : التخلي عن الإِيديولوجيا الحاكمة للذات وتجريد ذهنيتها وتعليقها من أي شيء وهي ذهنية تحاملية .

الثانية : أن تكون الحقائق التي يقدمها هذا العلم عن الغرب نسبية وليست مطلقة؛ لتكون النتائج مرضية ومتجانسة للعقل والواقع فضلاً عن منطق البحث العلمي الملتزم والمحايد .

2_ إنَّ الموقف من الاستغراب بوصفه علمًا نحاول تأسيسه، هو موقف من المعرفة في النهاية ، وهذا الأمر يحدده مدى امتلاكنا أدوات معرفية لفض هذا العلم والولوج فيه، وتحصل هذه الأدوات يتحدد في ثلاثة: المنهج وآلية التوجه ، العقلنة وإنتاج المعرفة، الهدف وإرادة الحقيقة .

3_ وفي الآلية المنهجية أَكَّدت الدراسة على منازعة المنهج بالمنهج دون الخلط في أو المناقضة في استعماله، وفي منهجية الاستغراب يجب أن نتوجه إلى الغاية مباشرةً كأن يكون نصاً أو حقلاً معرفياً ما ، بجعل الدراسة فيه موضوعاً إبستيمياً فقط لا غير .

4_ وفي ميدان العقلنة فإن وعي الاستغراب ينبغي أن يصطف مع الاتجاه الموضوعي في إطاره الإبستيمي أيضاً ، ليحقق نوعًا من التعاطي الدقيق في النظرة التقويمية العقلانية للمعرفة ، لأن الموقف الإيديولوجي يحول دون إدراك المعرفة الصحيحة ومن إعاقة السير نحو التكامل المعرفي في الكل الاجتماعي والنهج العلمي بالخلوص إلى الغايات والنتائج السليمة .

5_ ونحو صياغة الهدف من الاستغراب، يجب أن يكون منطلقاته مؤسسة وموجهة بما يتناسق مع منهجيات البحث العلمي المنظمة تبتعد عن الذوق والمزاج والتصورات الذهبية الأخرى المسبقة، لا يبحث عن الصفاء الذاتي بقدر ما يؤكد على ترتيب الظواهر الثقافية بالبحث عن التوازن بين الأنا والآخر معرفيًا، بوصفه نوعًا من مبدأ فرض الحضور في الساحة الحضارية بمعطياتها العلمية المعاصرة المتنوعة .

References

- Al-Hefni, Abdel-Moneim **(**2003) **The Comprehensive Dictionary of Philosophy Terms:** 13 6, 3rd edition, Madbouly Library _ Cairo, 2000 AD, and Al-Marzouqi, Abu Yarub, Hanafi, Hassan: Consideration, Action, and the Current Arab-Islamic Civilizational Dilemma: p. 328, 1st Edition, Dar Al-Fikr, Damascus,.
- Saliba, Jamil: **The Philosophical Lexicon in Arabic**, French, English and Latin Terms: Part 1.
- Muhaibel, Omar: From System to Essence.
- Ibrahim, Abdullah: Conformity and Difference.
- Al-Kibsi, Muhammad Ali: **Readings in Contemporary Philosophical Thought:** 100 p._101 p. 2, Dar Al-Farqad for Printing, Publishing and Distribution, Damascus, 2007. And Mustafa, Nadia Mahmoud, Abu Zaid, Ola: Arab and Western discourses in the dialogue of civilizations: p. 62, 2nd edition, Dar Al-Salam for printing, publishing and distribution, Cairo, 2007.
- Hani, Idris: The Arabs and the West, any relationship. . Aya bet: pg. 20, 1st edition, Al Ittihad House, Beirut, 1988 AD.
- Abboud, Miqdad Nadim 1999) **Between Estrangement and Creation, the Truth in Contemporary Arabic Discourse**: p. 109, 1st edition, Dar Al-Hadatha For printing, publishing and distribution, Beirut,.
- Hanafi, Hassan (2000) **Introduction to the Science of Oddness**: p. 24, 2nd edition, University Foundation for Studies and Publishing, Beirut,
- The Arabs and the West: Any Relationship, Any Bet: 67, and From System to Essence.
- Tizini, Tayeb: From Western Orientalism to Moroccan Westernism, a study of the Jabrite reading of Arab thought and its historical horizons: 35, 1st edition, Dar Al-Majd for Printing and Publishing, Damascus, 1996 AD.

- Consideration, Action, and the Current Arab-Islamic Civilizational Dilemma.
- Khalil, Bakri (2002) **Ideology and Knowledge**: 208, 1st Edition, Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution, Amman,
- Introduction to the Science of Strangeness: 447, and see Al-Ti'a'a wa'l-Khalq.
- Ideology and knowledge.
- Matta, Karim (1974) **Modern Philosophy, Critical Presentation:** 45, Benghazi University Publications, College of Arts.
- Laroui, Abdullah (2003) **Concept of Ideology**: 112, 7th Edition, Arab Cultural Center, Morocco,
- Between estrangement and creation: 173, and Arab and Western discourses in the dialogue of civilizations:
- Introduction to the Science of Strangeness:
- Conformity and Difference:
- Introduction to the Science of Strangeness:
- Readings in Contemporary Philosophical Thought:

Philosophy of Oxidentalism (against Orientalism) from Ideology To the Space of Epistemology

Haitham Mohammed Mustafa *

Abstract

This study adopts from the theory of scientific identification closely, determining the nature of the science of astonishment (counter-Orientalism) as a purely cognitive phenomenon away from ideological and militant mental precursors, its goal lies in expanding

* **Asst. Prof/Department of Philosophy/College of Arts/University of Mosul.**

the horizons of knowledge and updating the tools of understanding and interpreting the other that avoids assimilation and is not based on intuitions based on obscurity and inquiry, and also rejects the prior mental cover to arrange cultural phenomena in the judgment of the other on them by seeking to seize and strip him of them, but rather seeks cognitive serenity in all its forms not (Cultural adversary) which some of the propositions going on in this field call itThe cognitive pillars that frame the path of (astonishment) from the point of view of study as an end and a result are determined in three main lines (the line of the curriculum - the line of rationalization - the line of the goal).

As for the line of methodology: as a critical (epistemic) knowledge, the method should be defined as a scientific option that does not accept the perception of the opposite party scientifically except through it, which is a technical necessity in the study of ideas and the pursuit of sound results, and highlight the nature of the study in a way that approaches the mental axioms to which the reader succumbs, which on the other hand carries objectivity within it because systematic identification is one of the values of objective modernity that human thought is currently witnessing, overlooking this scientific differentiation loses the careful vision of things And keep it away from its professionalism

As for the line of rationalization: it is the mental perception of things, accepting them, and then revealing and knowing them away from projections or ideological inertia when looking at issues and arranging their phenomena at first glance, as the cognitive self does not seek to eliminate the other and break with him, but the logical cognitive balance is mostly a ruler taking into account the conditions of time and space.

As for the line of purpose: it should also parallel the previous levels, in which the teleological reading of the other party lies in its objective face tightly, in highlighting the distinctive features of it in the power of its cultural penetration, and then building initial precursors towards it to.

Key words: Surprising Philosophy /Counter –Orientalism /The Science of Wonder /Oriental Science /Orientalism Ldeology .